ثقافة وأدب

■ قصة قصيرة بقلم : غازي العباري ■

سيناريو لمجزرة معاصرة

انا ، الاخرون ، نحن جميعا ، ليل ساج . نحن اصدقاء . كل منا جزء من الاخرين . اجزاؤنا مجتمعة تشكل كلا واحدا . نحن الليل . الليل جزء منا . نحن جزء من الليل . الليل عالمنا الفريد . فيه نتألق ، نحيا ، الليل ... النرد . الشطرنج دواوين الشعر ، القصص الاحاديث الصاخبة ، الادب ، اللذات . الفن، الموت ، ما بعد الموت ، وما قبل الحياة ، الجنس .. النساء .. المرطبات ، اكواب الشاي ، الشواء ، ارغفة الخبز ، ضحك ، طرائف ، شراب ، صمت ، حسرات ، هموم، مشاكل صغيرة ، عائلية ، احزان ذاتية ، لحظات غضب ، انفعال ، امنيات ، افلام الدور الثاني ، العودة للبيت ، النوم ، النهوض باكرا للعمل .. هكذا دورة حياتنا في اليوم ، هكذا ليلنا ، افضل ساعات اليوم ، الليل ، كل الليل لنا ، نحن الليل والليل نحن ، الليل عالمنا الماتع الكبير مملكتنا الاسطورية .. كم نحب الليل ! نترقبه بشوق صوفي .. اقول لجليسي الذي فرغ توا من تناول عشائه وبدأ يرتشف شايه بتأن وينفث دخان سيجارته الاجنبية بسهوم ، اقول له :

اسرع ! اسرع ! فقد تفوتنا فرصة التمتع بمشاهدة مقدمةافلام الاسابيع القادمة. دقائق ويبدأ الفيلم . والمسافة التي تفصلنا عن دار العرض، تبدو سحيقة نائية بشكل خيالي وهذا الراديو الصغير الذي ما انفك يسومنا العذاب ، يسوطنا بسياط غير مرئية ، ما زال يتحدث ، يصرخ ، يهتف بنا ، يعذبنا ولا ندري كيف الخلاص ! وفي ضمائرنا تدور معارك وتبرز امام اعيننا مدن محترقة ودماء تسيل ودخان ازرق ، اسود كثيف يطبق على الافق . يملأ عيوننا ، انفاسا نراها في الخيال امام دائرة اعيننا الكابية ..

– اسا يا اخي !
– ماذا ؟
– آمنت ..
– ثم ماذا !
– وحملت ..
– ماذا يعني ؟
– لنحمل من بعدي الاجيال
– زهرة ؟
– لا منجل !
– لو قلت بندقية ! ذاك افضل !
– وحملت
– اكمل !
– جرحي والدما
– رائع
– دين علينا
– طبيعي
– والدين حق لا يؤجل !

.. تفتح مدافع سدوم افواهها . تسقط الحمم فوق الخيام . تختلط الاجساد بمطر النار والموت . ويبدو الحريق المندفع . تلوى داخله اجساد شائهة ، مضطربة لاطفال لنساء ، شيوخ ، وجوه ، صارمة ملثمة ، وجوه مغبرة ، شعور شعثاء ، عيون متوهجة مثل نثار الجمر في الليل المظلم .

– احس بالعار !

.. يقول ويسحق عقب سيجارته بحذائه اللمع . تتطلع اليه عيون مضطربة ، قلقة ، تتطلع الى كل الجهات تستقر عند الاحذية اللممة . احذيتنا لامعة . نشعر بزهو داخلي. نملك احذية مصبوغة جيدا . ننهض ..

.. ندخل الصالة الانيقة ، الفخمة ، تمسح انظارنا الجالسين الجالسات، الجمهور تخنقه السعادة الاطمئنان خلو البال من الهموم والفكر الذي يتعدى نطاق الذات .. هؤلاء القوم ليسوا منا . لا ، منا ولكن تعبوا . فيئسوا من حدوث اي شيء ، وجلسوا يتفرجون على الحقل . نلز ابصارنا الى النساء الى ثيابهن ، اجسادهن البضة الممتلئة تصدمنا عطورهن النفاذة مثيرة ، مهيجة ، نتخذ اماكننا ، نغرق في المقاعد الوثيرة ، يخزنا الصوت هنا ، يتدفق واهنا من بين المقاعد ، عبر الظلال الى اسماعنا المرهفة ، يبدا لنا سوطا لاذعا يرتطم بحدة فوق اجسادنا المقشعرة .

– عمان تحترق .
– يا لنا من حقراء ..
– نداء .. نداء .. الى ابي سعد الماء لا يشرب باردا !
(نشرق برجاجات المرطبات) .
– كل هؤلاء الحاضرين كلاب !
– نداء .. نداء .. الشمس اكبر من القمر
– قعودنا اكبر جريمة !
– الحقارة احسها !
– انا كلب .
– انا مسخ !
– انا حذاء !
– كلنا اغبياء !.

.. يدق الجرس .. تنفرج الستارة الرقيقة عن الشاشة البيضاء . تحل الظلمة تدريجيا ، تشتعل اضواء ملونة في الجدران، اضواء خضراء ، حمراء ، بنفسجية ، ثم ظلمة داكنة ، تبدو خلالها رؤوس السجائر المشتعلة مثل جواهر حمراء ، مثل شرارات تتطاير الى اعلى والى اسفل . وفقا لحركة ايدي المدخنين ، المدخنات على الشاشة تبدو زحمة من الناس عربة مثقلة بمتاع بيتي رخيص ، عجوزان انهكهما التعب وسنوات العمر ، يدبان متساندين يغادران بيتهما نار ترجمهما ، تطردها منه ، يهربان بجلدهما رجل على قدم واحدة ، عكازته تخذله ، تسقط فوق الارض طفلة في زحام النساء والشيوخ والاطفال ، تقاتل لتنال حقها من الطعام ، يسقط الاناء فوق التراب والطين، تمتد اصابعها اليه تعيده مع التراب الى الاناء يأكل الانسان طينا ولا يموت جوعا ؟ يأكل حتى نفسه من اجل ان ينقذ نفسه .

ترتفع همهمة ، تتألم بعض السيدات ، المعطرات ، الانيقات مدمنات مشاهدة الافلام في الدور الثاني ، ينقطع التأفف ، يظهر سيد انيق ، سعيد او بائس ، يحلم بسيارة فارهة وقصر منيف وزوجة ارستقراطية يتأبط ذراعها كل ليلة لمشاهدة افلام الدور الاخير . ترتفع اغنية عن الوجه الذي يغسل بمياه قدسية وعن الحب الذي تراجع ولم يعد له وجود في طريق الحقد ، وبعد ان خاضت القدم الهمجية في المياه المقدسة واندفعت مزهوة تخطو في شوارع المدينة العتيقة ولا ترى سوى عيون الكلاب والخنازير تجوس في مخازن التحف الاثرية والمسابح والرياش وعقود الكهرب وقلائد الفضة واقراص العاج ، الازر ، البسط ، النحاسيات ، يتطلع عسكري غريب لا يعرف لغة البلاد ذاهلا في واجهة المخازن باحثا عن هدية ما لامه لخطيبته لعشيقته ليضعها في غرفتها ، لا بأس في ان تكون قافلة ابل خشبية صغيرة ، او قلادة من الحصى والاصداف الملونة النادرة لتزين بها عنقها ، لن يشتريها ، سينتزعها من جيد امرأة ما يراها تضعها حتى وان كانت ميتة !..

يضع السيد الانيق الحالم بطاقته في محفظته يودعها جيبه الداخلي ويمضي سعيدا حالما بالمال الكثير والسعادة المرتقبة مع القصر الجميل والسيارة الفارهة والاوجه الدافئة التي يتأبط ذراعها كل ليلة لمشاهدة افلام الدور الاخير .

فضاء الصالة . تتطلع الوجوه الناعسة الى بعض ويصفعنا الصوت ثانية ، قاسيا ، صارما ، ظالما !

ونقشت اسمك يا ام
فوق اخمص البندقية
وقبضة يدي سأشرب
لو اعوزني الرصاص
وصدري سأجعله درعا
لارد الموت عن رفيقي !

وندوي تنفجر قذائف حمراء ، سوداء ، تطيح بالدور ، تحرق الاشجار ، تلتهم الخيام ، كربلاء ثانية والشمر المتنمر سيد الساحة بعد ان سقط الحسين وداست صدره خيول البدو ..

ترى طفلة مرتعبة احترقت اصابعها اطراف شعرها وثوبها وراحت تطلب مرتعبة وبالحاح امها التي ترقد بلا حراك مبقورة الامعاء .. ام اخرى فقدت صغرها تحت ركام الانقاض راحت تبحث عنه مخبولة انهار البيت كله عليها ودفنها تحته ..

.. عجوز فرغت توا من صلاتها اصابعها الضامرة المرتعشة تسقط حبات مسبحتها السوداء الطويلة وتردد اسماء الله الحسنى، تتساءل ذاهلة عما يحدث في المدينة ولماذا اكفهر وجه السماء ؟ اهم اليهود هجموا ثانية ؟ واجتاحوا المدينة ؟ لا جواب . تطلعت حولها ، لا احد الصمت مطبق في الدار التي تختنق . لا تدري ان افراد العائلة يغطون بنوم ابدي . وهي لوحدها القادرة على الحركة ولم يكن مقدرا لها البقاء لتتساءل لو لم تكن لحظة الانفجار التي اطاحت بالبيت بين يدي الاله وفي الغرفة القصية .

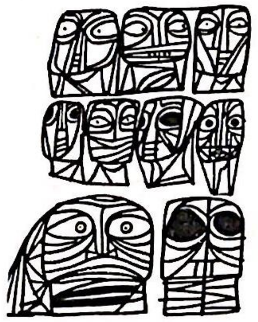

تشعر بجفاف حلقها تبحث عن الماء . لا ماء .. فالشمر سيد الشريعة وحسين هذا اليوم غير ذاك الحسين ..

الوقت يمر ، نداءات مرموزة . يشارف الفيلم نهايته بعد ان ضاجع البطل الذي لا يقلب بطلة الفيلم وتركها ملقاة عارية فوق السرير الوثير المبعثر ، ارتفع الهمس الناعم المكتوم في فضاء الصالة قابله صراخ رواد المقاعد الامامية المسعور وصفيرهم النشاز يبدأ بارتداء ملابسه يتطلع من النافذة سيارة سوداء فخمة تقف عند الباب ، يهبط منها مسلحون يتوارى وراء النافذة يمد يده ناحية المسدس الذي تركه فوق المنضدة . لا يجده . اختفى مع الفتاة التي هربت للاقاة العصابة عارية الا من غلالة النوم وهي تقفز درجات السلم العريضة حاول ان يفتح الباب ، وجده موصدا ، اغلقت السافلة عليه الباب . سيحاصرونه ترني له انه الان أعزل . عقله الجبار يعمل ، يضع اصبعه فوق صدغه مفكرا يكمل ارتداء ملابسه يتسلق النافذة يتسور ماسورة المياه الخلفية يهبط الى حيث تقف سيارته الصغيرة في مدخل الحديقة تنطلق به تغيب عن الانظار ، تتنفس الصعداء .. بارتياح .. يرتفع الراديو . منظر رهيب . عائلة مرتعبة ، محاصرة عيون صغارها مشفقة مملوءة بالهول ، تلمع في الظلمة من النافذة دبابة كالجبل تقذف النار . تتجمد نظرات الصغار من الوالد . يقف مسمرا مرتجفا ، يتحرك فجأة الى غرفة جانبية يخرج منها يقفز نحو السطح ، يعلو صراخ الاطفال لحظات تتحول الدبابة الى كتلة ملتهبة من نار، تدور حول محورها تحاول الهروب ، الافلات ، الخلاص من النار العالقة بها ، تقف في الساحة المجاورة تنفجر بعد ثوان بعدها تستحيل الدار انقاضا ثم يسود صمت ثقيل يقطعه انين واهن لا يلبث اذ يصمت للابد ..

– نداء .. نداء .. الهدية وصلت سالمة .
– نداء .. نداء الى ابي وائق ! كن واثقا وحطم الرماح .
– نداء .. نداء .. اللواء الشمالي مناطق محررة !

نفرح ثانية . انجاب الاسى الذي يثقل ضمائرنا . يفتح رجال العصابة باب الشقة باقدامهم . خالية . يبعثرون ملابس المرأة الداخلية التي لم تكمل ارتدائها . ما زالت شبه عارية يصفعها احدهم . ترتمي باكية فوق السرير . لم تفكر بالنافذة . يغادرون . يتطلع واحد منهم الى جسدها العاري ، المثير المكوم امامه . يقف عند الباب لحظات مترددا يعود اليها ، يطبق الباب وراءه صراخ المقاعد الامامية ، الهمس المكتوم ، نرى البطل يقبل في طائرة محلقة بين الارض والسماء امرأة اخرى تشق الفضاء بغضب . اسقط في ايديهم . تأخروا بضعة دقائق .

نغادر القاعة ، ممزقين ، نداري خجلنا ، تفاهتنا ، افكارنا وراء ابتسامات بليدة ، مصطنعة يغمرنا عطر النساء الارستقراطيات زنودهن البضة تلامس زنودنا، تغرينا باللمس تدهشنا ، نتصنع الوقار أعماقنا تغلي شبقا ، الا ان صوت الادانة يعيدنا الى احزاننا ، قلقنا ، اضطرابنا يصفعنا بقوة ، وانت ايها الصوت الذي لا يصمت عذابنا . وثانية :

ولقد كنت اسمك يا ام

– اوه : حسنا نعرف هذا . وماذا بعد ؟
نلجأ للصمت فترك الامر للصوت يتحدث عن الحرائق ، الدمار ، الموت هجمات البدو.
– ماذا قدمت الصحراء ؟
– هؤلاء البدو !
– ارفض هذا الكلام ! هذه شعوبية .
– انت على حق القتلة في كل امة !
– ليس بطولة ان تشاهد فيلما ! فيلم الانفعال ؟

نلتزم الصمت الحبيب .

نتفرق الى بيوتنا تقودنا اليها طرق وشوارع واتجاهات مختلفة ووسائل نقل متنوعة . اخيرا ها هي الراحة . الفراش الوثير ، الاسترخاء . النعاس يداعب الجفون المرهقة، نغفو ، حلم طويل، حريق كبير تخوضه اشباح ملثمة فتيان ملثمون ، عيونهم تتوهج داخل النار يقف على حافة الحريق ملاك الموت ، ذلك الهيكل من العظام يقطف الارواح والرؤوس بمنجله المستطيل ولا احد يقترب منه . نقذف بانفسنا وسط النار ، في خضم الحريق ، يتحول الرصاص المنهمر الى تراب ، القنابل تصير كرات ثلج تتبعثر تحت اقدامنا ؛ الدبابات مثل لعب كارتونية نبعدها عن طريقنا نخطف الطائرات من الفضاء كما نصطاد الفراشات في الحقل ، نسحقها بقبضاتنا ، نحس السعادة تتذوق البطولة نضرب صدورنا بايدينا رؤوسنا مثقلة باكاليل الغار، صدورنا تنوء بالاوسمة الازهار تحت اقدامنا تمتد الينا اكف الصغار ، تسقط علينا مناديل الفتيات تلوح لنا الامهات تملأ اسماعنا الزغاريد نوزع التحايا على الجانبين ، قادة منتصرين وفجأة لا شيء عراة ، هكذا عراة ، ولا حتى من الستر الداخلي صحراء مترامية لا حدود لها ولا يحدها البصر ، شمس حارقة وعواصف لا تنتهي وشمس تغمر كل شيء ولا ندري باي اتجاه نسير ..

ايلول ١٩٧٠

قصائد شاكر السماوي
تنشر في العدد القادم

مهرجان لايبزغ : فلسطين ، لاول مرة ، سينمائيا .
« النهر البارد » مثل الجبهة الشعبية

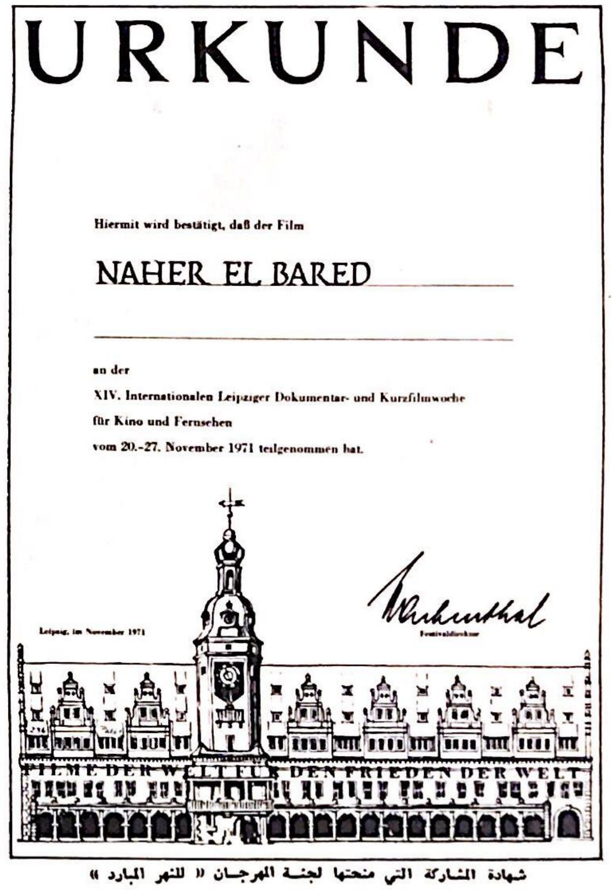
URKUNDE

Hiermit wird bestätigt, daß der Film

NAHER EL BARED

an der
XIV. Internationalen Leipziger Dokumentar- und Kurzfilmwoche
für Kino und Fernsehen
vom 20.–27. November 1971 teilgenommen hat.

Leipzig, im November 1971

Festivaldirektor

FILME DER WELT FÜR DEN FRIEDEN DER WELT

شهادة المشاركة التي منحتها لجنة المهرجان « للنهر البارد »

« النهر البارد » فيلم الجبهةالشعبية لتحرير فلسطين ، اثار اهتماما واسعا في اوساط المشاركين في مهرجان لايبزغ للافلام الوثائقية والتسجيلية ، وقد كتبت صحف المانيا الديمقراطية عنه كما نشرت مقابلات مع مخرجه (قاسم حول).

هذه هي المرة الاولى التي يشارك فيها وفد فلسطيني في مهرجان دولي للسينما، ننشر في الاعداد المقبلة مقالات كتبها قاسم حول عن الفيلم والمهرجان والافلام المعروضة فيه .

بطاقات الجبهة

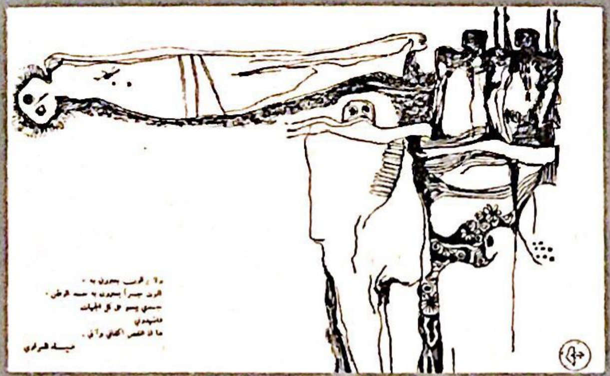
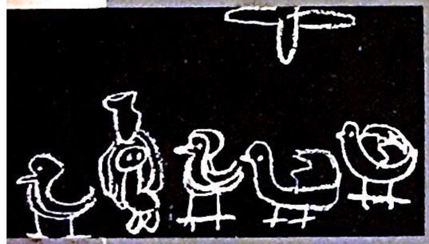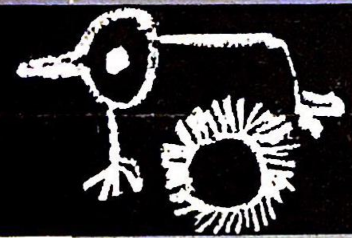
الان ، بطاقات الاعياد اصدرتها الدائرة الفنية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. عشر بطاقات ماخوذة عن الرسام الفلسطيني كمال بلاطة والرسام العراقي ضياء العزاوي ورسوم اطفال الفلسطينيين من كتاب « شهادة الاطفال في زمن الحرب » ، مخرجة باحجام والوان مختلفة ، يمكنكم الحصول عليها من الهدف ص.ب ٢١٢ ، بيروت لبنان ، او من مكاتب الجبهة في الخارج .
سعر البطاقة : ٥٠ قرشا لبنانيا .